مقتطفات من كتاب

الثقافة العربية

عباس العقاد

حدوتة كتاب

إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات

مصطفى علي سيد

(أبو مهاب)

https://cap-khir.com

sedratalmontha@gmail.com

حقيقة مفاجئة

أقدم الثقافات الثلاث

وهذه الثقافات الثلاث هي: العربية، واليونانية، والعبرانية.

أقدمها في التاريخ هي الثقافة العربية، قبل أن تُعرَف أمة من هذه الأمم باسمها المشهور في العصور الحديثة.

وهذه حقيقة من حقائق التاريخ الثابت الذي لا يحتاج إلى عناءٍ طويلٍ في إثباته، ولكنها على ذلك حقيقة غريبة تقع عند الكثيرين من الأوروبيين والشرقيين، بل عند بعض العرب المحدثين، موقع المفاجأة التي لا تزول بغير المراجعة والبحث المستفيض.

وقد كان ينبغي أن يكون الجهل بهذه الحقيقة هو المفاجأة المستغربة؛ لأن الإيمان بهذه الحقيقة التاريخية لا يحتاج إلى أكثر من الاطلاع على الأبجدية اليونانية، وعلى السفرَين الأولَين من التوراة التي في أيدي الناس اليوم، وهما: سفر التكوين وسفر الخروج، ولا حاجة إلى الاسترسال بعدهما في قراءة بقية الأسفار.

فالأبجدية اليونانية عربية بحروفها وبمعاني تلك الحروف وأشكالها، منسوبة عندهم إلى قدموس الفينيقي، وهو في كتاب مؤرخهم الأكبر «هيرودوت» أول مَن علَّمهم الصناعات.

وسفر التكوين وسفر الخروج صريحان في تعليم الصالحين من العرب لكلٍّ مِن إبراهيم وموسى — عليهما السلام —؛ فإبراهيم تعلَّم من ملكي صادق، وموسى تعلَّم من يثرون إمام مدين، وشاعت في السفرين رسالة «الآباء» قبل أن يُعرَفوا باسم الأنبياء؛ لأن العبرانيين عرفوا كلمة «النبي» بعد وصولهم إلى أرض كنعان واتصالهم بأئمة العرب بين جنوب فلسطين وشمال الحجاز.

وُجِدَ العرب في ديارهم قبل أن يُعرَفوا باسم العرب بين جيرانهم، وكانت لهم لغة عربية يتكلمونها وتمضي على سُنَّة التطور عصرًا بعد عصر، إلى أن تبلغ الطور الذي عرفناه منذ أيام الدعوة الإسلامية.

وهذه هي القاعدة العامة في تسمية الأمم وفي تطور اللغات؛ فليس العرب بدعًا فيها بين أمم المشرق والمغرب.

فالهند — مثلًا — كانت عامرة بسكانها قبل أن يُسمَّى نهرها بنهر «الهندوس»، وقبل أن يُطلَق اسم هذا النهر على شبه الجزيرة كلها.

والحبشة كانت عامرة بقبائلها المتعددة قبل أن يسميها العرب بهذا الاسم، ويقصدون به بلاد الأحباش أي السكان المختلطين، وقبل أن يسميها اليونان باسم «أثيوبية» أي: بلاد الوجوه المحترقة، وقبل أن يسميها العبرانيون باسم بلاد الكوشيين لأنهم ينسبون أهلها إلى كوش بن حام بن نوح.

وكانت بلاد السكنداف معمورة قبل أن يسميها أهل الجنوب بلاد «النورديك» أي: الشماليين.

وكانت إنجلترا معمورة بطائفةٍ من السكان بعد طائفة، يوم أُطلق عليها اسم إنجلاند أو إنجلترا، أو أرض الأناجلة angles الذين قدموا إليها في القرن الخامس بعد الميلاد، ومن ملوكها مَن كان يحلو له أن يسميها بلاد الملائكة Angellykes؛ لأن البابا غريغوري اختاره لها بدلًا من اسم بلاد الأناجلة الذي يشبهه في نطقه Engeliscé … فراح بعضهم يرسم صورة «ملائكية» على عملتها الذهبية، والتبس الأمر على أتباعهم فأوشك أن يُخلَط عليهم الحقيقة لولا قرب العهد باسم الأناجلة واسم موطنهم المعروف.

وكل هذه الأمم كانت لهم لغات يتكلمونها قبل ألفَيْ سنة، ولا يتكلمها اليوم أبناؤها على النحو الذي كان يفهمه آباؤهم، ولا يشذ عن ذلك أمة من الأمم ولا لغة من اللغات.

فيحق العجب ممَّن يجهل هذه الحقيقة التاريخية المُسجَّلة بالكتابة منذ ألوف السنين، بل بالحروف التي سبقت الكتابة والكُتَّاب.

إلَّا أن الإشاعة الموهومة كثيرًا ما تطغى على الحقيقة المُسجَّلة، ولا سيما الإشاعة التي تحتمي بالصولة الحاضرة وتملأ الآفاق بالشهرة المترددة. وقد أشاع الأوروبيون في عصر ثقافتهم وسلطانهم أن أسلافهم اليونان سبقوا الأمم إلى العلم والحكمة، واختلط على الأوروبيين كما اختلط على غيرهم قِدَم التوراة بالنسبة إلى الإنجيل والقرآن، وقِدَم الإسرائيليين بالنسبة إلى المسيحيين والمسلمين، فتوهموا أن العبرانيين سبقوا العرب إلى الدين والثقافة الدينية، وكتابهم نفسه صريح في حداثة إسرائيل وحداثة إبراهيم من قبله بالنسبة إلى أبناء البلاد العربية.

وليس أعجب من الجهل بالحقيقة التي تظهر هذا الظهور.

ليس أعجب من هذا الجهل إلا أن تكون الأوهام المُشاعَة بهذه القوة عند أقوى الأمم وعند أشهرها بالعلم والثقافة.

فلو لم يكن في هذه الصفحات التالية إلا أنها تكشف هذه الأعجوبة في ناحيةٍ من نواحيها، لكان ذلك حسبها من سببٍ يوجب علينا كتابة هذه الرسالة؛ فهي تفصيل لِمَا في هذه الأسطر القليلة من إجمال، وأيسر تفصيل كافٍ في مجالٍ كهذا المجال.

وجاء في الإصحاح الخامس عشر منه: «وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوتٍ عظيمٍ: إلُوِي، إلُوِي، لما شبقتني.» وتفسيره: إلهي، إلهي، لِمَ تركتني؟ ومعنى شبقتني هنا «جاوزتني وتخليت عني» كما يمكن أن تعني اليوم بالعربية التي نتكلمها.

وعلى ذلك يصح أن نقول: إن الآرامية هي عربية تلك الأيام في مواطنها، وإنها قريبة جدًّا من اللغة العربية الفصحى بعد تطورها نحو ثلاثة آلاف سنة، لا يُستغرب أن يحدث فيها مثل هذا الاختلاف في نطق الألفاظ، وتركيب بعض العبارات.

ثبت من الآثار المحفوظة أن المصريين الأقدمين تطوروا بالكتابة من رسم الصور إلى رسم المقاطع إلى رسم الحروف التي تُسمَّى اليوم بالحروف الأبجدية، وتُسمَّى عند الأوروبيين عامة بحروف «الألف باء تاء» alphabet نقلًا عن العربية.

وقد تبيَّنت رسوم بعض الحروف المصرية القديمة من ألواح سيناء، وهي حلقة الاتصال بين الحروف الأولى وبين الحروف على أشكالها المتقاربة التي تطورت بعد ذلك في مختلِف اللغات.

ولسنا نريد بإثبات فضل الشرق أن نبخس فضل اليونان في ترقية الفلسفة، ولكننا نقرر الواقع حين نقول: إن الذين يتخذون الفلسفة اليونانية ذريعة إلى اتهام الشرق بالقصور ينحرفون عن سُنَّة الإنصاف، ويتورطون في ادعاءٍ لا دليل عليه.

الأبجدية اليونانية

تعلَّم اليونان الكتابة وأخذوا رسم الحروف من «قدموس» الفينيقي كما قالوا في تواريخهم ورووا قبل ذلك في أساطيرهم المتواترة؛ مما يدل على قِدَم العهد باعتمادهم في ثقافتهم على المصادر الفينيقية.

وأيًّا كان قول المؤرخين والرواة فهذه المسألة — مسألة الأبجدية — من المسائل التي لا حاجة بها إلى التاريخ والرواية؛ لأن أسماء الحروف وأشكالها ومعانيها شاهدة بانتقالها من المصادر العربية، سواء كانت فينيقية أو آرامية أو يمنية من الجنوب.

فالأبجدية تُسمَّى عند اليونان بالـ «ألفابيتا» وتبدأ بالألف والباء والتاء، ثم تتوالى فيها حروف كثيرة بلفظها العربي في العصر الحاضر على وجه التقريب.

وليس لأسماء الحروف معانٍ مفهومة في اللغة اليونانية، ولكنها بهذه الأسماء مفهومة المعنى في لغتنا العربية العصرية، فضلًا عن اللهجات العربية الغابرة.

وأقرب هذه الحروف إلى المعاني العربية الشائعة في أيامنا حرف الباء من «بيت»، وحرف الجيم من «جمل»، وحرف العين من «عين»، وحرف الفاء من «فم»، وحرف الكاف من «كف»، وحرف الميم من «ماء»، وحرف الياء من «يد».

وأشكالها المرسومة قريبة من أسمائها الأولى كما يُرَى في شكل «البيت» وشكل «رقبة الجمل» وشكل «العين» وشكل «الفم»، وغيرها من الأشكال.

وإذا رجعنا إلى نطق أسماء الحروف كما شاعت أول استعمالها في البلاد العربية تبينت العلاقة بين أشكالها ومعانيها جميعًا بغير استثناء حرف واحد من الحروف؛ فكلها أوائل كلمات مفهومة من بقايا الكتابة التصويرية التي ترسم الشكل كله، وتأخذ من الكلمة حرفها الأول عند الكتابة بالحروف.

والثابت بعد هذا كله من الواقع — فضلًا عن أخبار التاريخ — أن الحروف اليونانية القديمة كالحروف العربية، وأنهم كانوا يكتبونها من اليمين إلى الشمال كما نكتب العربية اليوم، وأنها بأشكالها وأسمائها ذات معنًى في اللغات السامية، ولا معنى لها في لغةٍ من اللغات الأوروبية، وأن انتقالها كان مقرونًا بانتقال صناعات الكتابة وأدواتها وما يتصل بها من الصناعات الأخرى، وأن اليونان تعلموا الملاحة وفنونها ممَّن سبقوهم: أي من أمم البحر الأبيض الشرقية، وأن النقوش وأسماء المواقع في البلاد اليونانية ترجح وصول العرب بحضارتهم إلى تلك البلاد في زمنٍ قديمٍ سابق على الأقل لشيوع أسماء «لاريسا»: أي العريش، و«عسكرا»: أي العسكر، وفندس Pindus أي: الجبل العظيم.

على أن اقتباس اليونان من العرب يظهر لنا من تشابه الكلمات في اللغتين، ولا سيما الألفاظ التي تدل على أصلٍ متشعبٍ في العربية، أو تدل على نظام المعيشة الغالب على الأمة وطول العهد به في موطنه ومستقره.

فالبرج في اليونانية برجوس Πύργος ومادة الباء والراء ومثليتهما أصيلة في الدلالة على الظهور والعلو: كبرز وبرض وبرع وبرق، ومعنى البروج والتبرج والأبراج شائع في المادة العربية.

ومشكلة العبريين قديمًا وحديثًا هي هذه المشكلة: هي مشكلة «التحجر» على حالة القبيلة وحالة «العصبية» بالدم والسلالة. وعقيدتهم في جوهرها هي عقيدة عصبية منعزلة، تؤمن بإله تعبده لأنه إلهها، وهو الإله الذي يرعاها لأنها شعبه الذي يحابيه بين الشعوب لغير سبب ولغير فضيلة فيه غير أنه شعبه المختار لديه.

وهذه حالة من العزلة «المتعصبة» لا بد أن تسوق القوم إلى اصطدامٍ عنيفٍ بينهم وبين جيرانهم من جانب البادية ومن جانب الحاضرة، ولا بد أن يقع فيها ذلك الشعور النافر بين صاحب المال وبين الوسيط والسمسار، كلما تحركت المطامع وتعسرت المنافع، ونشبت المنازعات في البيئة، ولو كان نشوبها لسببٍ غير السمسرة والاستغلال.

وقد تحول إبراهيم من أرض النهرين إلى أرض كنعان، فروى لنا سفر التكوين من التوراة في إصحاحه الرابع عشر أنه تلقى البركة من ملكي صادق ... «وكان كاهنًا لله العلي، وباركه وقال: مبارك إبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك».

وقد أعطاه إبراهيم العُشْر من كل شيء قربانًا إلى الله.

ففي الإصحاح الرابع من سفر الخروج أن موسى — عليه السلام — استأذَنه في العودة إلى مصر قبل رسالته: «فمضى موسى ورجع يثرون حموه وقال له: أنا أذهب وأرجع إلى إخوتي الذين في مصر لأرى هل هم بعدُ أحياء، فقال يثرون لموسى: اذهب بسلام.»

وفي الإصحاح الثاني عشر بعد رواية أخبار موسى من ذهابه إلى عودته: «أن يثرون أخذ محرقة وذبائح لله، وجاء هارون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعامًا مع حمي موسى أمام الله».

إبراهيم وموسى وداود يتعلمون

ومعنى هذا أن شعيبًا كان يقرب القرابين إلى الله ويتبعه موسى وهارون وجميع شيوخ إسرائيل.

وكانت هذه العبرية — حين تحجرت ووقفت عن التطور — لهجة ساذجة قليلة العدة ناقصة التصريف، ويقول فولتير في المعجم الفلسفي تحت كلمة آدم: «إنه من المحقق أن اليهود كتبوا قليلًا جدًّا وقرءوا قليلًا جدًّا، وكانوا على جهلٍ شديدٍ بعلوم الفلسفة والهندسة والجغرافية والطبيعيات؛ فلم يعرفوا شيئًا من تواريخ الأمم ولم يأخذوا في التعلم إلا بعد اتصالهم بالإسكندرية حيث شرعوا في اقتباس المعرفة، وكانت لغتهم البربرية مزيجًا من الفينيقية القديمة والكلدانية المشوهة، وبلغ من فقرها أنها لا تحتوي كثيرًا من الأزمنة في أفعالها.»

ويأتي داود، عند العبريين، بعد إبراهيم وموسى في مقام النبوة، وهو رأس البيت المالك الموعود بالمُلك الأبدي في هذا العالم، ورب الأسرة التي ينتظرون الخلاص على يدَيْ ملك من ملوكها يعود إلى صهيون آخر الزمان. وقد كانت الصلة بينه وبين البلاد العربية متجددة متبادلة كما يُفهَم من قصة ابنه سليمان وصاحبة عرش سبأ في جنوب بلاد العالم، ولكننا لا نملك من الوثائق ما نستند إليه في تقدير آثار هذه الصلة من الناحية الدينية، وإنما نعلم من الوثائق التاريخية — التي سجلها المؤرخون الأوروبيون عن آثار إخناتون — أن المشابهة قريبة جدًّا بين مزاميره وصلوات ذلك الملك الذي تقدم بالدعوة إلى التوحيد في مصر القديمة ...

وقد عقد كلٌّ من هنري برستيت وآرثر ويجال Weigall مقارنة بين بعض الصلوات وبعض المزامير، فاتفقت المعاني بينهما اتفاقًا لا يُنسَب إلى توارد الخواطر والمصادفات، ومن أمثلتها قول إخناتون:

> إذا ما هبطت في أفق الغرب أظلمت الأرض كأنها ماتت، فتخرج الأسود من عرائنها والثعابين من جحورها.

ويقابله المزمور الرابع بعد المائة وفيه: «إنك تجعل ظلمة فيصير ليل يدب فيه حيوان الوعر وتزمجر الأشبال لتخطف ولتلتمس من الله طعامها.»

ويمضي المزمور قائلًا: «تشرق الشمس فتجتمع وفي مآويها تربض، والإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله في المساء ... ما أعظم أعمالك يا رب! كلها بحكمة صنعت، والأرض ملآنة من غناك وهذا البحر الكبير الواسع الأطراف ... وهناك دبابات بلا عدد صغار مع كبار، هناك تجري السفن، ولوياثان — التمساح — خلقته ليلعب فيه ...»

«ومثله في صلوات إخناتون: ما أكثر خلائقك التي نجهلها! أنت الإله الأحد الذي لا إله غيره، خلقت الأرض بمشيئتك وتفردت فعمرت الكون بالإنسان والحيوان الكبار والصغار ... تسير السفن مع التيار وفي وجهه وكل طريق يتفتح للسالك لأنك أشرقت في السماء، ويرقص السمك في النهر أمامك وينفذ ضياؤك إلى أغوار البحار، وتضيء فتزول الظلمة ... وقد أيقظتهم فيغتسلون ويسعون ويرفعون أيديهم إليك ويمضي سكان العالم يعملون».

وأيًّا كان مصدر هذه المزامير المتشابهة، فالواقع المقرر أن إخناتون سبق داود بأكثر من ثلاثة قرون، وأن العبريين لم يُنشِئوا هذا المذهب في الصلوات الدينية قبل شعوب العالم في جوارهم، ولا في غير ذلك الجوار.

ولقد كان نصيب الأمة العربية من تلك الشبهات «نصيب الأسد» إن صح هذا التعبير، فأصابها منها أكبر نصيب تُصَاب به الأمم، منذ أيام الشعوبية إلى أيام الاستعمار والتبشير والآرية والشيوعية!

كان يُقَال عن العرب: إنهم بعثوا بالدين ولم يبعثوا بالدنيا.

وكان يُقَال: «إنه لا يفلح عربي إلا ومعه نبي».

وكان يُقَال: إنهم لا يصلحون في دولتهم وفي غير دولتهم إلا محكومين.

وقالوا: إن العرب لا يحسنون صناعة الحكم، ولولا ذلك لما خرجوا من الأندلس بعد الغلبة عليها عدة قرون.

وقالوا: إنهم لا يحسنون فنون الحضارة، ولولا ذلك لكان لهم فن جميل غير نظم القصيد.

وقالوا: إنهم لا يحسنون من أعمال المعاش غير ما تعودوه في البادية من رعي الإبل والماشية، ولولا ذلك لما غلبهم طراق بلادهم من الغرباء على أسباب المعيشة.

وكل أولئك الدعاوى الكبار أضعف من أن تثبت على النظر المتأمل لحظاتٍ، فضلًا عن الثبات في مجرى التاريخ.

وإذا كان من حقنا — نحن الشرقيين — جميعًا أن نؤمن بهذه الفكرة الصالحة، فمن واجبنا أن نحترس من مغبة الاغترار بها ومن سوء الفهم الذي يُخشَى أن تسوقنا إليه.

فمن سوء فهمها أن نفهم أننا مبرَّءُون من العيوب معصومون من الخطأ، أو نفهم أن عيوبنا هينة لا تكلفنا المشقة في إصلاحها، وأن أخطاءنا قليلة لا تعاودنا في كل آونةٍ من حياتنا مع أنفسنا أو حياتنا مع أقوامنا.

كلا، بل لنا عيوب غير هينة، ولنا أخطاء غير قليلة، غاية ما يعزينا فيها أن نؤمن بأننا قادرون على تصحيحها وعلى اجتنابها، وأنها ليست بالأبدية التي لا تفارقنا كما زعم المفترون علينا.

أما تلك العيوب التي تُفتَرى علينا، فهي التي تفرض علينا القصور كارهين وطائعين كما يزعمون، وهي التي نعرفها أو نجهلها على حدٍّ سواء؛ لأن الحيلة فيها عبث، والأمل في الخلاص منها مفقود.

تلك العيوب ننكرها ونشتد في إنكارها، وليس قصارانا في تبرئة أنفسنا منها أننا نحب أنفسنا، وأننا نشتهي أن نحمدها بحقها أو بغير حقها، وإنما ننكرها ونشتد في إنكارها؛ لأننا نستند إلى خير سندٍ من الواقع الذي لا ريب فيه، ولأننا نعلم من هذا الواقع أننا سبقنا السابقين إلى ثقافة المعرفة وثقافة العقيدة قبل أربعين قرنًا، وأننا أعطينا العالم حظًّا منهما لا يزول منذ أربعة عشر قرنًا، وأن ما كان في ماضي الزمن غير مرة ليكونَنَّ غير مرة في الزمن القريب، وفي الزمن البعيد.

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاندرويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)

www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355